

# فلسفة الإصلاح عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي

من خلال آثاره

بقلم الدكتور أحمد مغازي

جامعة الجزائر 2 قسم الفلسفة

## مقدمة:

تأسست جمعية العلماء المسلمين كفكرة في حضان مبارك، تأسست بالمدينة المنورة، مدينة رسول الله ﷺ وموطن هجرته، ومهبط الوحي الإلهي عليه، وشهد على تأسيسها رسول الله ﷺ فقد تأسست بين يديه. أو بتعبير الإمام: تأسست في "مهد الإسلام ومنبت الدعوة إلى الحق، ومبعث الإصلاح الإنساني العام".<sup>(1)</sup> لذلك لا يمكن لمؤسسة كهذه، تأسست في هذه الظروف والأحوال إلا تكون مؤسسة إصلاح وبناء.

ومن ثم لا غرابة أن يكون منهجها الإصلاحي قائما على النموذج المثالي، نموذج الصدر الأول للإسلام، عصر رسول الله ﷺ وعصر صحابته.

ومن تبنى منهجا كهذا سيكتب له الاستمرار والنجاح.

## تصور الإمام لجمعية العلماء:

لا يمكن لدارس أن يفهم فلسفة الإصلاح عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي إلا إذا تعرف على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

---

- محمد البشير الإبراهيمي: آثار الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1997م، ج1، ص 183.

وجمعية العلماء المسلمين - كما يصورها الإمام- ليست جمعية منحصرة في شؤون الدين- كما يتصوره العامة- لا شأن لها بمسائل الحياة وشؤون الناس، فعملها منذ تكوينها يشمل الإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي. فهي جمعية إصلاح ديني وإصلاح اجتماعي معا، وكلاهما يسعه الإسلام، لأنه دين واجتماع، ولا يستقيم الإصلاح الديني إلا باستقامة الإصلاح الاجتماعي. يقول الإمام: لقد عملت الجمعية "منذ تكوينها في الإصلاحيين المتلازمين، وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دين الله على الطريقة حتى تستقيم اجتماعيته، فبحسن إدراكه الأشياء، وفهمه لمعنى الحياة، وتقديره لوظيفته فيها، وعلمه بحظه منها، وينضج عقله وتفكيره، ويلم بزمانه وأهل زمانه، ويتقاضى من أفراد المجموعة البشرية ما يتقاضون منه من حقوق

وواجبات". (2)

وموضوعنا هو: فلسفة الإصلاح. فما ذا يعني الإصلاح؟ وما ذا تعني فلسفة الإصلاح؟.

الإصلاح: يعني الإصلاح، مما يعني، الترميم ورأب الصدع، وإزالة الفساد، والتأليف بين الأفراد والجماعات. وهذه المعاني ينبئ القرآن الكريم عنها. (3)

ولا يمكن أن يقع الإصلاح من الناحية العملية إلا بعد ظهور الفساد والانحراف والشقاق، والخلاف والتخاصم. وبالجملة لا يقع الإصلاح إلا بعد ظهور دواعيه.

ودواعي الإصلاح كثيرة منها:

- انتشار الفساد والإفساد، في البلاد وبين العباد.

- انتشار الفوضى والخلل في المجتمع.

2- المصدر نفسه، ج1، ص 283.

- وردت في القرآن الكريم كلمة "الإصلاح" 7 مرات. ووردت مشتقاتها (صالح - صالحات - صالحون - صالحين - مصلحين) حوالي 120 مرة. ووردت اسم علم على نبي الله الذي بعث لقوم ثمود 6مرات. ووردت بصيغة الفعل في أحواله الثلاثة 19مرة.

- شيوع الذهنيات الجامدة والأفكار الميتة في الواقع المجتمعي.

- تشويه المفاهيم والتصورات.

- ظهور الأزمات في المجتمع.

وهو من صميم رسالة الأنبياء والمرسلين، وأمانة في عنق العلماء، خلفاء الأنبياء والمرسلين. ويؤيد هذا قول الإمام: بأنه "مبدأ وأمانة"،<sup>(4)</sup> و"أمانة إلهية تنتقل من صدر إلى صدر ولا تدخل مع الميت إلى القبر".<sup>(5)</sup>

أما فلسفة الإصلاح: فتعني: التصور الشمولي لموضوع الإصلاح، وما يرتبط به

من الوسائل والمنهج، والموضوعات والغايات، تصورا متكاملا متناسقا، يترجمه العمل الواقعي، محققا الغايات التي يهدف إليها.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه يدفع إلى التساؤل عن كيفية استثمار الإمام الإبراهيمي الإصلاح من خلال جمعية العلماء المسلمين؟

1 - فما هي الوسائل الناجعة التي تحقق الإصلاح في تصور الإمام واستثمرها؟.

2 - وما هو المنهج الأمثل الذي ينهجه ويمكنه من تحقيق الإصلاح المنشود؟.

3 - وما هي الموضوعات التي يرى أنها بحاجة إلى الإصلاح، ولها قابلية الإصلاح؟.

4 - وما هي الغايات والأهداف التي يريد الإمام تحقيقها لتحقيق الإصلاح؟.

أولا: الوسائل التي تصورها واستثمرها:

---

- المصدر نفسه، ج1، ص 126.<sup>4</sup>

- المصدر نفسه، ج1، ص 128.<sup>5</sup>

استقر الإمام الواقع ومعطياته، والإمكانات المتاحة لتحقيق الإصلاح فاستقر قراره على أربعة وسائل: التعليم - المساجد - الصحف - النوادي.

## 1 - التعليم:

الوسائل المتاحة في التعليم - في مساحة ضيقة تخضع للتضييق - هي:

أ - المساجد: تكفلت بالتعليم المسجدي، الذي كان الفضل في بعثه للإمام عبد الحميد بن باديس، وكان هذا التعليم موجودا منذ الصدر الأول في الإسلام.

يعرفه الإمام الإبراهيمي بأنه: "ذلك التعليم الذي تلتزم فيه كتب معينة في

- العلوم الدينية، من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق.

- والعلوم اللسانية، من قواعد ولغة وأدب.

- والعلوم الخادمة للدين، من تاريخ وحساب وغيرها".<sup>(6)</sup>

وتسمية هذا الصنف من التعليم بالتعليم المسجدي، "لأنه كان في فجر الإسلام وما زال

يلقى قي المسجد".<sup>(7)</sup>

ويمكن الإشارة إلى عدة ملاحظات حول هذا النوع من التعليم وآثاره، منها:

- ليس كل المساجد كان يُمارس فيها تدريس العلوم الدينية واللغوية وغيرها، وأكثرها

مقتصر على تحفيظ القرآن، لأن القائمين عليها ليس كلهم يملكون القدرة على تدريس هذه

المواد، بل أغلبهم كان يكتفي بحفظ القرآن وتلاوته دون فهم له، لأسباب تاريخية

وموضوعية، ومن كان من هؤلاء يتطرق إلى مواد علمية كان لا يخرج عن أوليات الفقه

- المصدر نفسه، ج2، ص 17.<sup>6</sup>

- المصدر نفسه، ج2، ص 170.<sup>7</sup>

وأوليات النحو، وما يتحدث الإمام عنه كان إما في الزوايا الملتزمة وإما بجهود جمعية العلماء.

- تصنيف العلوم التي كانت تدرّس بالمساجد تصنيف حسب الأولوية والحاجة، وحسب ما كان سائدا في المجتمع الإسلامي. فالحاجة تدعو إلى اعتقاد سليم وعبادة صحيحة ولغة سليمة، وما زاد على ذلك له أهمية أقل. فالحساب كان بالنسبة لهم من علوم الوسائل من غاياته -مثلا- معرفة علم الميراث والأنصبة، وكيفية توزيع التركات.

لكن السلطة الفرنسية كانت لهذا التعليم، في هذه الأماكن، بالمرصاد بشتى الوسائل. منها:

- منع المدرسين من إلقاء دروسهم بإصدار القوانين التي تمنعهم. فقد منعت الإمام الإبراهيمي من إلقاء دروسه وأوقفته برسالة تلغرافية عن الدرس بمسجد تلمسان. وأوقفت الشيخ الطيب العقبي عن التدريس بمسجد العاصمة.

- ومن الوسائل التي استخدمتها السلطات توظيف مدرسين بالمساجد من قبلها، موالين لها، أو على الأقل لا يعصون أمرها، سمتهم "رجال الدين". (8)

وإصرار الإمام والجمعية على الاستمرار في التعليم المسجدي يصرح به الإمام ولا يخفيه، حيث يقول: "...لا نسلمها (أي المساجد) حتى تسلم الأنفاس لرب الناس". (9)

هذا الصنف من التعليم ضروري للمجتمع، وضرورته لا تزال قائمة.

- فالمجتمع بحاجة إلى من يعالج نوازله المياومة له ويفتته فيها.

---

- المصدر نفسه، ج3، ص 232. (8)

- نفسه، ج3، ص 234. (9)

- وباجة أيضا إلى معرفة الحلال والحرام وبيان ذلك له، (10) من مصدر معلوم موثوق.

ومن الأغراض التي يحققها هذا النوع من التعليم بطبيعته المفتوحة

- إتاحة الفرصة للراغبين في الحصول على هذا التعليم، وتحصيل مواد وعلومه، وهم من أهل اختصاصات أخرى، كالأطباء والمهندسين ومن في حكمهم.

ولو يُفَعَّل هذا التعليم اليوم بالتأكيد سيحقق أهدافا سامية نبيلة، - خاصة وأنه مفتوح على جميع فئات المجتمع، لا يراعي سنا ولا يخصص فئة دون أخرى-، ويُصَحَب تفعيله بإسناد التدريس إلى المختصين. ويساهم في نشر التعليم بين أوساط واسعة من المجتمع، ويسد الباب في وجه المتطفلين على التدريس المسجدي واللقاء به.

ب - الكتاتيب: التعليم الكتاتبي هو التعليم الذي يكون بالكتاتيب، وعادة ما يكون خاصا بالصغار من الصبية. وقد قامت الجمعية بالترغيب في هذا التعليم، وتشجيع الأمة لإلحاق أبنائها بالكتاتيب.

لكن يلاحظ: 1- أن هذه الكتاتيب عادة ما تكون بالمساجد أو بملحقاتها، لكنها أيضا قد تكون بجناح من مسكن المعلمين، وقد تكون في دور خاصة.

2 - غالبا ما تكون هذه الكتاتيب مقتصر دورها على تحفيظ القرآن، وإذا أضاف بعضهم شيئا لا يخرج عن بعض مبادئ الفقه وبعض أوليات النحو والصرف، وما إليها. وربما أضاف بعضهم تكليف المنتسبين إليها بحفظ بعض المتون كمتن ابن عاشر في العقيدة وفقه العبادات والتصوف مثلا.

---

- نفسه، ج2، ص 170.10

ج - المدارس: أعني به التعليم الذي كان بالمدارس التي تشرف عليها وتديرها الجمعية، وهي مدارس ابتدائية منتشرة عبر ربوع الوطن على كبر مساحته. وقد بلغ عدد هذه المدارس سنة 1955م قرابة 400 مدرسة، بين صغيرة وكبيرة، وبلغ عدد التلاميذ قرابة 170 ألف تلميذ، بين ذكور وبين ذكور وإناث. وبلغ عدد المدرسين حوالي 700 مدرس. (11) كل هذا كان على عاتق الجمعية والخيرين من الأمة.

وقد كان تصور الإمام الإبراهيمي للتعليم تصورا شموليا، فقد كان من تخطيط الجمعية إنشاء معهد بتلمسان -ولعله دار الحديث-، ومعهد بالجزائر لم يتم إنجازه (12)

وأخر بقسنطينة، وهو المعهد الباديسي يختص بما فوق الابتدائي (التعليم المتوسط والثانوي)، ابتداء من السنة الخامسة. من وظائفه تقوية التلاميذ "في الدينيات علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، وىروض ألسنتهم على القراءة والخطابة، وأقلامهم على الإنشاء والكتابة، وعقولهم على التفكير الصحيح، ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة، ويشرف بهم على علوم الحياة من باب الرياضيات والطبيعات، ويهيئهم تهيئة صحيحة للتعليم العالي...". (13)

وقد لقي الإمام والجمعية من الاستدمار صنوف الاعتراضات والمنع بوسائل متعددة ومختلفة، يمكن القول: إن الإدارة الفرنسية كانت تتفنن في اختراعها، قصد محو التعليم العربي والقضاء على الإسلام.

---

- نفسه، ج 3، ص 254. 11

- أوكل تصميم معهد الجزائر إلى المهندس المرحوم عبد الرحمن بوشامة، وقد كان من جبراني يحي بولوغن بالعاصمة، وأراني التصميم الذي 12 وضعه في أواخر الثلاثينات من القرن الماضي بطلب من جمعية العلماء المسلمين. لكن التصميم جسد بعد الاستقلال في مبنى "الحروية" بالعاصمة، وهو الآن يشغله معهد العلوم الإسلامية. وكان الغرض من إنشاء معهد الجزائر - حسب ما ذكر لي المهند بوشامة - أن يكون للتعليم العالي، يعفي الطلبة الجزائريين من الذهاب إلى المعاهد والمدارس خارج الوطن، كالزيتونة مثلا، ومن كلفة وعناء السفر والغربة.

- نفسه، ج 3، ص 255. 13

- نفسه، ج 3، ص 245. 14

ما كان عن طريق المناورة والاستفزاز، مثل محاولة دمج التعليم الفرنسي في مدارس  
الجمعية

بمحاولة إجبارها على إدخال 15 ساعة في الأسبوع تُدرّس فيها الفرنسية. ويصف الإمام  
الإبراهيمي

هذا السلوك بأنه "أوجع الضربات المسددة للتعليم العربي". (14)

أو عن طريق سن القوانين التي تعيق نشاط الجمعية، أو نشاط الأهالي كالمماثلة في  
الترخيص لإنشاء وفتح المدارس، والتدريس بالمساجد، أو فتح الكتاتيب، والمبالغة في تكوين  
الملف المطلوب من أجل الترخيص حتى يعجز طالب الرخصة عن توفيره. واخترع الحجج  
المانعة له من الاستفادة من الرخصة. وقد يصل الأمر إلى وضع صاحب الرخصة في  
دوامة من التعقيدات الإدارية المخترعة تكلفه ما لا طاقة له عليه. يصف الإمام الإبراهيمي  
هذا السلوك بقوله: "يدخل (أي من يطلب الرخصة) في بحر من الإجراءات لا ساحل له،  
حتى يفرغ جيبه، وتحفى قدماءه، ويكلّ ذهنه، زيادة على السخرية والاحتقار". (15)

وكانت هذه الإجراءات والحيل القانونية المفتعلة تزيد الإمام وصحابته إصرارا وتصميما  
على المضي في تنفيذ مشروعهم الإصلاحى إدراكا منهم أنه لا بديل عنه لتحقيق النهضة  
واستعادة أمجاد الأمة.

يرى أن التعليم الابتدائي الذي تنشره الجمعية عبر مدارسها المنتشرة في كامل الوطن هو  
"الخط الذي تبتدى منه النهضة العلمية". (16) وكيف لا يقاوم من أجل تحقيقه. إنه ما  
تسعى إليه الأمة برمتها.

- نفسه، ج3، ص 217 و ج3، ص 219. 15

16- نفسه، ج3، ص 255.

- نفسه، ج3، ص 221. 16

إن التعليم العربي الإسلامي لا يمكن للأمة أن تتخلى عنه، فقد "رضيت لأبنائها سوء التغذية، ولكنها لم ترض لهم - أبدا- سوء التربية، وأنها صبرت على أسباب الفقر، ولكنها لا تصبر - أبدا - على موجبات الكفر". (17)

### القضاء والتعليم القضائي:

وهناك تعليم آخر خارج عن سلطة الجمعية تتولى شؤونه السلطات الفرنسية وهو القضاء ومدارس القضاة.

هذه الدارس تكوّن قضاة للجزائريين. والقضاء يخص الجزائريين أفلا يكون لهم شأن بها؟.

هذه الدارس تحتاج إلى إعادة النظر فيها، في برامجها وفي تكوينها.

هكذا يتصور الإمام الإبراهيمي ويصور للسلطات الفرنسية.

وهناك لون آخر من التعليم العربي بالجزائر خارج عن إدارة جمعية العلماء، وهو التعليم بالزوايا.

فقد كانت الزوايا منذ عهد بعيد تقوم بالتعليم العربي الإسلامي في صورته التقليدية، تهتم بتحفيظ

لقرآن الكريم وتدرّس العلوم الدينية من فقه وأصول وعلوم القرآن وتفسير وحديث... وتدرّس العلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة وما إليها، وكانت الدراسة تقوم على تعيين متون معينة يحفظها المریدون ويشرحها الشيخ. وكان بعضها مراكز للطرق الصوفية، وكانت تؤدي وظيفتها العلمية والدينية أداء يخدم الدين واللغة والأمة قبل ظهور الاستعمار في الجزائر. لكن الاستعمار استطاع -بعد جهد- أن يسخرها لأغراضه، وأصبح بعض القائمين على

بعضها"مطاياها يرتكب الموبقات باسمهم...".<sup>(18)</sup> فجعل هؤلاء سلاحا من أسلحته، يشهره في وجه كل متمرّد عنه. ولا يعني هذا أن كل الزوايا انسأقت إلى سلطانه، فقد كان من أعضاء جمعية العلماء المسلمين من هم من أبناء الزوايا، ومنهم من كان الفضل في تكوينه وتعلمه لها.

## 2 - الصحافة:

وسيلة حديثة في عهد الشيخ الإبراهيمي، ووسيلة ناجحة وناجعة في التوصيل والتواصل. استثمرتها الجمعية، ورأت نتائجها، إن في التبليغ والتوصيل، وإن في إحراج الخصوم والأعداء وفضحهم.

كانت الجمعية كلما أصدرت صحيفة سارعت السلطات الفرنسية إلى منعها، لشدة تأثيرها وقوة إبلاغها، حتى أنها أصدرت قرارا يصفه الإمام الإبراهيمي بـ"الغريب"، لأنه لم يلتزم حد العقل والمنطق، ويدل على درجة الاضطراب والحيرة التي وقعت فيها هذه السلطات. فقد أصدر أحد وزراء فرنسا (Chautemps) "قرارين عجيبين... في يوم واحد: الأول عطل به جريدة من جرائد جمعية العلماء العربية، وختمه بما معناه: إن كل جريدة تصدرها جمعية العلماء في الجزائر باللغة العربية في المستقبل فهي معطلة سلفا، من دون احتياج إلى لإصدار قرار بالتعطيل".<sup>(19)</sup>

مما يدل على أهمية الصحافة وخوف الاستعمار من آثارها وتأثيرها.

وليست هذه هي المرة الأولى التي تصدر فيها السلطات الصحف الحرة، وعلى رأسها صحف جمعية العلماء، ولا هي المرة الأخيرة. وكانت الجمعية قد تعودت على مثل هذا السلوك فكانت تعد البديل مسبقا حتى لا تتعطل مشاريعها الإصلاحية والتربوية.

- نفسه، ج3، ص 227. الهامش 18

- نفسه، ج5، ص 160. 19

يتصور الإمام الإبراهيمي أن من وسائل إصلاح المجتمع ونشر الثقافة في أوساطه،  
وتفعيل

دروس الوعظ والإرشاد النوادي العربية.

وتفعيلها وتفعيل نشاطها باستغلال ما هو موجود منها، وإنشاء ما يمكن إنشاؤه، ليرتادها  
الشباب

خاصة، بدل التشرذم والتشرذم والضياع؛ أمية وجهل وفقير وتخلف إلى أين يؤدي بهم هذا؟.

يتصور الإمام الإبراهيمي أن النوادي بوظيفتها وتفعيلها هي في حكم المدارس، وأنها تكمل  
وظيفة المدارس. ويعلل ذلك بأن الأمة مكونة من ثلاث فئات: فئة الصغار وتضمهم  
المدارس الابتدائية، وفئة الكبار وتضمهم المساجد، [آنذاك لم تكن مدارس ثانوية تحسب]  
وفئة الشباب لا نجدهم في المساجد "تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والميسر والفجور"،  
(<sup>20</sup>) والنوادي أصلح مكان لهم لتهديبهم. فوظيفة النوادي هي الإصلاح والتهديب، ومن فائته  
المحاضرات والدروس استدرکها في النوادي.

وقد اجتهدت الجمعية في المساهمة في البحث عن النوادي وتنشيطها، منها ما كان  
موجودا واستثمرته، ومنها ما اجتهدت في إنشائه.

واعتمدت تجربة تمثلت في عقد مؤتمر سنوي تقيمه بمدينة قسنطينة، يحضره القائمون  
على التدريس "فنتبادل الآراء وتُتلاقح وتُقيض المباحث عن أصول التربية والتعليم وأقوم  
طرائقهما، وعن الأساليب والكتب التي تجمع بين العلم والعمل...".

وفي إقامة "عكاظ علمي سنوي تقيمه [الجمعية] في مدينة الجزائر... يتمرن فيه الأعضاء على الخطابة ومواضيع الدعوة والإرشاد". (21)

وكانت النوادي مجمع المحاضرات واللقاءات، وامتدت وظيفتها وقامت في أشكال أخرى، مثل : المناسبات المتعددة التي تجمع الناس، والوعظ والإرشاد بالتجوال.

ومن الوسائل لتفعيل الإصلاح كذلك، الدعوة والدرس عن طريق التجوال. فبالإضافة إلى تفعيل دروس الوعظ والإرشاد بالمساجد يمكن تفعيلها عن طريق التجوال والارتحال. ويرى الإمام الإبراهيمي أن هذا العمل واجب يساهم في نشر الثقافة والوعي. ويعلل ذلك بأن "أول واجب على علماء الدين نشر الهداية الإسلامية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجمعية العلماء ما سنت سنة التجوال في البلدان إلا قياما بهذا الواجب... [لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب]". (22)

والنتيجة لهذا الجهد بهذه الوسائل وأمثالها يلخصه الإمام الإبراهيمي بقوله: "وقد اتضحت الفكرة، وحفظت مسائلها وعلمت دلائلها حتى أصبح في مقدور كل إنسان بيانها والدعوة إليها، وإقامة الحجة عليها". (23)

ثانيا: المنهج:

أما المنهج الذي اجتهد الإمام الإبراهيمي ليجعل منه الوسيلة الناجعة للإصلاح فيتمثل في:

---

21 - نفسه، ج 1، ص 145.

22 - نفسه، ج 2، ص 145.

23 - نفسه، ج 1، ص 284.

1 - حصر القضايا للتمكن من دراستها والإحاطة بها وبمحتواها، وتصوره لها تصورا صحيحا. يحصر أهداف الإصلاح -مثلا- في إحياء لغة القرآن والتمكين للإسلام، من خلال الرجوع إلى مصادره الأولى وأصوله الصحيحة. (24)

2 -التصور القابل للتطبيق، القائم على مراعاة الواقع ومعطياته وإمكانيات التحقيق. تصوّر الطريقة التعليمية للنشء وضبطها ضبطا يؤدي تطبيقها -حسب التصور- إلى نتائج إيجابية، مثل: تصوره -رفقة الإمام عبد الحميد بن باديس- الطريقة التي يعلمان بها النشء لتكوينه تكوينا معينا. "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة قي تربية النشء هي: ألا نتوسع في العلم. وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل. فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا". (25)

3- التشخيص؛ أي تشخيص القضايا والأمراض، وبيان العلل والأسباب التي أدت إلى حدوث الخلل. فقد اهتم بتشخيص الاختلالات، التي كانت من أسباب اختلال الفرد المسلم والمجتمع المسلم، ويحصرها في أربعة عناصر أو أركان، هي: "العقيدة والعبادة والمعاملة والخلق". (26)

ويشخص سبب أو أسباب تخلف الأمة وتفرقها بترك روح القرآن وجوهره، والتمسك بحروفه، على الرغم من تحذير القرآن من ذلك، بصيغ عديدة، بالنهاي عن التفرق، وبالذعوة إلى الوحدة، بقص قصص سيرة الأمم السابقين وسرد تاريخهم.... (27)

4 -التدرج؛ في تحقيق الأفكار والخطط، فإنه لا يمكن لأي قائم بالإصلاح أن يحقق ما يصبو إليه بعجلة. والجمعية سلكت مسلك التدرج. في التعليم -مثلا- ابتدأت بتحقيق السهل

24. - نفسه، ج 1، ص 133.

25. - نفسه، ج 5، ص 280.

26. - نفسه، ج 1، ص 133.

27. - نفسه، ج 1، ص 161 - 162.

المتناوَل الممكن التحقيق؛ ابتدأت بالمساجد ثم بجوارها، بالمدارس الابتدائية، ثم عقبها عليها بالمدارس التي

تليها من حيث المستوى، حسب إمكانياتها المحدودة، وتتوق إلى إنشاء مؤسسات للتعليم العالي،

لإعفاء أبنائها، أبناء الأمة، من مشقة الرحلة والغربة.

5 - التخلي بالصبر والحكمة؛ فلولا الصبر والحكمة اللتين اتخذهما الإمام الإبراهيمي والجمعية في معالجة القضايا والمشكلات، والتخلص من المكاييد والحيل التي كان الاستدمار يحيكها، لزالَت الجمعية وانتهت في سنواتها الأولى.

وإنما كانت الحكمة قائمة قيمة فدفعت مكاييد الاستعمار، وكشفت حيله وفخاخه وألعيه، وشر نية قوانينه التي كان يسنها بحق الجمعية وأهلها. ولولا الصبر والمجاهدة لما بقي من أعضائها ثابت على المبادئ والأصول، قائم بالأمانة التي أنيطت بكاهله.

6 - النقد البناء؛ يهتم منهجه بالنقد المؤسس على التشخيص ثم الحجة والدليل، يهدف إلى بيان المحاسن فيزكيها، وإلى بيان المساوئ فينبه إليها، ثم يقترح البديل.

يذكر مثالب المجتمع والأسباب التي أدت به إلى الانحطاط والتخلف ويشخصها، ثم يعقب عليها باقتراح ما يتصور أنه يساهم في معالجة الخلل.

ثالثاً: الموضوعات:

موضوعات الإصلاح التي عالجها الإمام في الجمعية كثيرة ومتعددة، منها: التعليم والثقافة وإصلاح المجتمع، من أجل تثبيت هوية هذا المجتمع، التي بذل الاستدمار جهوده ووقته، وصرف المال من أجل سلبها منه.

1- التعليم:

نركز على التعليم الذي يعد أس الإصلاح زفتاح بابه. فقد لاحظ الإمام الإبراهيمي أن التعليم في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء كان "قاصرا لايفتح ذهننا، ولا يغذي عقلا، ولا يربي ملكة لغوية". لكن الوضع تغير بعد ظهور الجمعية ومباشرة رسالتها، وتأثيرها، فقد "هب شعور الأمة وقوي باحتياجها إلى فهم لغتها لتفهم دينها، وتطور التعليم الحر...كسائر الكائنات الحية". (28)

يصور خظة النهوض بالتعليم العربي في الجزائر في مقاله المنشور بعنوان: "مشكلة العروبة في الجزائر" في مجلة "الأصفياء". (29) تصويرا يتفق والإمكانات المحدودة للجمعية، إن ماديا وإن أدبيا، ويحمل في طياته طموحات مستقبلية تجعل من التعليم يشمل قرابة المليون ممن هم في سني التعليم

#### أ - إصلاح العقيدة:

يتصور أن أولى الإصلاحات هي إصلاح العقيدة؛ ذلك أنها تمثل أصول الدين ومعتقد المسلمين.

فقد لاحظ:

- أن التفرق والخلاف دب في المسلمين بعد ظهور علم الكلام، وظهر بعض مسائله مثل مسألة القدر، ومسألة الصفات، والخوض فيهما، ومسألة الخلافة "هل هي شعبة من أصول الدين تقتقر إلى التنصيص من الشارع، أو هي مصلحة دنيوية ترجع إلى اختيار أهل الرأي من الأمة"؟. (30)

---

28. نفسه، ج2، ص143.

29. نفسه، ج5، من ص 1148 إلى 160.

30. نفسه، ج1، ص164.

- وأن العقيدة الإسلامية قد مسها ضران: ضر تشويه المفاهيم وانحرافها، وتحريفها عن صحيحها، واعتقاد معتقدات ما أنزل الله بها من سلطان، ولا يقبلها العقل السليم.

وضر من القائمين بتدريسها، ويصنف هذه القضية إلى صنفين: صنف يتعلق بالعامّة، ويتمثل في الخرافات والأساطير التي غزت عقولهم ونفوسهم. وصنف يتعلق بالخاصة، وهم الدارسون والمدرسون لعلم الكلام على حالته التي ورثوها

والأمر لا يمس العقيدة وحدها، إنما أيضا يتعلق بالمعاملة التي من اختصاص الفقه، والسلوك الذي يتناوله التصوف الصحيح.

ومن ثم يشخص الإمام ما يصطلح عليه بالعلوم الدينية وفعاليتها في الفرد المسلم والمجتمع المسلم إلى ثلاثة علوم تحتاج إلى إعادة نظر وإصلاح.

يرى أن من عوامل اختلال العقيدة ملابستها ب"الخرافات والمعتقدات الباطلة"<sup>(31)</sup> وكان من نتائج ذلك شيوع ضعف الثقة بالله، وانتشار ظاهرة التواكل.

ويرى، بالنسبة للفقه، أن اختلال أداء العبادات أدى إلى خواء النفوس من الخشية وطلب الحلال، وكان من نتائج ذلك ضعف طلب الكمال الروحي.<sup>(32)</sup>

ونتيجة لاختلال المعاملات اختلت الأحكام، فلا حرّات تُحترم، ولا محرّات تُلتزم بالابتعاد عنها.

أما على مستوى الخاصة فيرى أن أشد الضرر الذي لحق علم التوحيد أو العقيدة هو إقحام الفرق الكلامية على تعددها، وإقحام آراء أصحابها. تضررت هذه المادة باستعمال الكتب التي تمزج بين موضوعات التوحيد وآراء أهل الفرق المختلفة، وبمنهج وطرائق أصحاب هذه الفرق، ومن توارثها عنهم.

<sup>31</sup> - نفسه، ج1، ص 133.

<sup>32</sup> - نفسه، ج1، ص 133.

ويتأسف -ناقدا- على انتشار هذه المادة بهذا الشكل، وبهذا المنهج الذي تُعالج به في كبرى

الكليات الراقية، مثل: الأزهر والزيتونة، "ولا تزال جارية على تلك الطرائق، وفي تلك الكتب، ولا تزال تُقرر فيها تلك الآراء، ولا تزال تُذكر فيها أسماء تلك الفرق التي لم يبق لها وجود".<sup>(33)</sup>

ويرى -ناقدا- أن الجهد والوقت الذي يبذل في عرض هذه الآراء ونقضها، والاستمرار في الجدل في هذا الإطار، مضيعة لوقت الطالب والمدرس، وإنقاص من عمرهما. يقول: "ويستعرض سيدنا المدرس تلك الآراء ثم يدحضها، ويطرحها ثم ينقضها، وتُقتطع أوقات الطلبة المساكين وياضيعة الأعمار".<sup>(34)</sup>

حقيقة؛ لم يفرق المتعاطون لتدريس علم الكلام بين المسائل التي ينبغي أن تُدرس كموضوعات لعلم التوحيد، وبين المسائل التي يطرحها الدخيل، كمسائل لنقاشها، وبيان الصحيح منها، ودحض شبهاتها.

ولم يفرقوا بي مسائل التوحيد كمسائل قائمة بذاتها وبين آراء الفرق كآراء متعلقة باجتهادات أصحابها وتمذهبهم، ملزمة لأصحابها. وإن اطلع غيرهم عليها من المتخصصين فعلى سبيل المعرفة والاطلاع، وربما على سبيل الفضول.

إن كثرة الفرق الكلامية في نظر الإمام الإبراهيمي وتصوره كانت من أسباب تفرق المسلمين، على الرغم من أن تأثيراتها على الخاصة لطبيعة مادتها. "وأما المذاهب الكلامية

---

<sup>33</sup> - نفسه، ج1، ص166.

<sup>34</sup> - نفسه، ج1، ص167.

فلم يكن أثرها بالقليل في تفرق المسلمين، وتمزق شملهم". لكن "دائرتها محدودة والتعمق فيها شأن الخواص".<sup>(35)</sup>

ويرى أنه بانقراض الفرق من الواقع ضاق التفرق وانحسر الجدل العنيف، الذي سخر العلماء إلى خوض معارك جدلية بينهم، لا طائل من ورائها. "وقد انقضت تلك الفرق وانقضت بانقراضها

سبب جوهرى من أسباب التفرق، بل مات بموتها شاغل طالما شغل طائفة من خيرة علماء المسلمين ببعضهم، وجعل بأسهم بينهم شديدا، وألهاهم بما يضر عما ينفع".<sup>(36)</sup> وقد تأثر المتكلمون في تصوره بالفلسفة اليونانية، وكانت هذه الفلسفة من أسباب تعدد المذاهب الكلامية ب:

\* تغذية المتكلمين بطرائق الجدل وقوانينه.

\* الاهتمام بالبحث في الإلهيات بطريقة عقلية، لا تستند إلى سند آخر. ويَدْعُونَ مع هذا "أن علومهم أساس الإسلام".<sup>(37)</sup>

وتدريس العقيدة بهذه الطرائق - في تصوره - أغفلت المهتمين بها عما يدور في المحيط المجتمعي،

الداخلي والخارجي، وجعلت بينهم والمحيط حجابا لا يعرفون عنه ولا عن المسائل التي تدور فيه

أي شيء. فهم بعيدون عما يحكيه ملاحدة العصر، ويجهلون ما يورده مبشروا المسيحية عن الإسلام. "أما التي يوردها ملاحدة العصر ومبشروا المسيحية على الإسلام ويفتتون بها

- نفسه، ج1، ص166.35

- نفسه، ج1، ص166.36

- نفسه، ج1، ص164.37

العلماء، فضلا عن العوام، فإن كلياتها (العلمية الدينية) [يقصد الكليات الإسلامية أمثال الأزهر والزيتونة] لا يعيرونها أدنى اهتمام، ولا يعمرّون بها وقت الطلبة. فياللفضيحة!!.

يعطي البديل باقتراحه منهجا يقوم - في تصويره- على ما أقامه السلف.

- الوقوف على النصوص القرآنية لتدبرها من خلال القرآن والسنة.

- الابتعاد عن التأويل وما قد يؤدي إليه من فهم غير صحيح، أو من هوى يزيغ بصاحبه عن الصواب. فالتأويل في رأيه "تحريف مسمى لغير اسمه". (38)

- اتباع روح القرآن وبيان السنة الصحيحة.

- اللجوء إلى اللغة واستنتاج دلالاتها لفهم روح القرآن.

- ما يسميه "الاعتبارات الدينية العامة".

- الفطرة السليمة والذوق السديد والنظر الصحيح.

ويستدل على سلامة المنهج الذي يتصوره ويقترحه بقوله: "وكانوا (السلف) يقفون عند نصوص من الكتاب والسنة، لا يتعدونها، ولا يتناولونها بالتأويل، وكانت أذواقهم لفهم القرآن، روح القرآن، وبيان السنة ودلالات اللغة، والاعتبارات الدينية العامة، ومن وراء ذلك قطرة سليمة وذوق متمكن ونظر سديد، وإخلاص غير مدخول، واستبراء للدين قد بلغ من نفوسهم غايته، وعزوف عن فتنة الرأي وفتنة التأويل". (39)

ولعله رأى في التأويل فتنة الفرقة والتفرق ونحن بحاجة إلى الوحدة والتوحد. فهل ينكر التأويل لذاته؟ هل إنكاره للتأويل راجع إلى البيئة التي تكون بها فترة من الزمن، بيئة المدينة

---

- نفسه، ج1، ص155. 38

- نفسه، ج1، ص163. 39

المنورة بمنهجها، وبنية تصورها الفكري والعلمي؟. هل إنكاره للتأويل وتحذيره مما ينجر عنه وسيلة يقصد من ورائها درء التفرق والتحزب، والدعوة إلى التوحيد والتوحيد؟.

إن مسائل التوحيد مقررة في القرآن، مبينة جلية بالبرهان في رأيه. بقول: "فتوحيد الله مقرر في القرآن بأجلى بيان، وأكمل برهان، وصفاته لا يطمع أي طامع أن يأتي في إثباتها بأكمل مما أتى به

القرآن". (40)

ويعلق على طريقة القرآن في عرض التوحيد والتنزيه، وهي من أهم المسائل التي شغلت المتكلمين

على اختلاف فرقهم، وأسالت من حبر محابرههم ما أسالت فيقول: "وطريقة القرآن في التنزيه أقوم طريقة، وقد جرى عليها الصحابة فكانوا أكمل الناس توحيدا مع أنهم لا يعرفون الجوهر والعرض، وهل يبقى زمانين، ولا الكم ولا كيف بمعانيهما الفلسفية الدقيقة". (41)

ويعلل سلامة هذا المنهج بدعوة القرآن إلى إقامة الدين وعدم التفرق فيه، ورد الأمر إلى الله ورسوله. "أدلتهم (السلف) قوله تعالى: (... أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ...)" (42) وقوله تعالى: (...فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ...)" (43). (44)

إن من يتدبر أي القرآن يلاحظ أن منهجه يقوم على ثلاث متكامل، فطريقته توجه العقل نحو خالقه ونحو نفسه من خلال نفسه ومن محيطه. وتوجهه نحو الواقع الذي هو مسخر له مأمور باستثماره في الصالحات، وذلك كله من خلال الوحي.

40 - نفسه، ج 1، ص 167.

41 - نفسه، ج 1، ص 167.

42 - القرآن الكريم: سورة الشورى، الآية 13.

43 - القرآن الكريم: سورة النساء، الآية 59.

44 - الآثار، نفس المصدر، ج 1، ص 164.

لكن يلاحظ أن علم الكلام بمسائله وفرقه جزء من الموروث الثقافي الإسلامي، إهماله إهمال لهذا الموروث، وعدم الاطلاع عليه تركه لغيرنا من المستشرقين والمستغربين والمتأمرين أن يوظفوه توظيفاً يخدم منافعهم ولا يحقق مصالحنا. وقد يصل الأمر بهم في التوظيف إلى زرع الفتنة والتفرقة في المجتمع الإسلامي، وربما أدت إلى النزاع والاقْتتال بيننا ونحن أمة واحدة.

أجل؛ ينبغي أن يخلو منهج الدراسة من هذه الفرق ويركز على موضوعات التوحيد التي تثبت الإيمان وتقوي العزيمة وتدفع إلى الوحدة، باختيار المنهج الذي يصقل النفس ويشدّ الذهن، وباختيار الموضوعات التي يكون لها أثرها الإيجابي التربوي والخلقي الذي ينعكس على الإنسان في سلوكه وحياته فرداً ومجتمعاً.

لكن دفن التراث ومحوه من الذاكرة الثقافية التاريخية المجتمعية أمر غير مرغوب ولا محبوب.

أما العامل الثاني الذي كان من عوامل وأسباب تفرق المسلمين هو انتشار المذاهب الصوفية، بما تحمله من تأثير بالمؤثرات الدخيلة، كالحكمة الفارسية والهندية،<sup>(45)</sup> والأخذ بشيء من مظاهر المسيحية، بالتسليم المطلق، وشيء من البرهمية، بتعذيب الجسد وإرهاقه للتوصل إلى الكمال الروحي.<sup>(46)</sup>

هذه المذاهب الصوفية بما عليه من خليط، كان لها أثر سيء على المسلمين، قبل أن ينعكس هذا

الأثر على الإسلام. فهي:

- تساهم في تشويه الدين بشكل خطير

---

<sup>45</sup> - نفسه، ج 1، ص 164.

- نفسه، ج 1، ص 168.<sup>46</sup>

- وبعيدة عن روح الدين.

- وشديدة التأثير في تفريق المسلمين، وفك عقد وحدتهم.

ويعلل ذلك بعدة علل، منها:

أنها غامضة، معقد سلوك أصحابها، ولهم أطوار غريبة.

أنها تأخذ من مظاهر الملل والنحل الدخيلة، كالمسيحية .

أنها تدعو إلى الانقطاع عن الدنيا والتجرد من ملذاتها خاصة، وتنتشر ذلك. يقول الإمام الإبراهيمي: "فهي (الطرق الصوفية) أشد خطرا في تشويه حقائق الدين، وأشد منافاة لروحه، وأقوى تأثيرا في تفريق كلمة المسلمين...".<sup>(47)</sup> إضافة إلى هذا يدعي أصحابها "أن علومهم هي لب الشريعة وحقيقتها".<sup>(48)</sup>

وإذا كانت علوم التصوف هي لب الشريعة فما هي علوم الشريعة؟.

ب - الفقه وعلومه:

أما بالنسبة للفقه وعلومه ومذاهبه فيرى أنها كمذاهب أمر طبيعي الحدوث، وضروري الحصول، خاصة في الصدر الأول، قبل جمع السنة.

وأنها أمر طبيعي الحدوث بعد جمع السنة، لأن السنة لم تف نصوصها بالوقائع الجزئية، ولم تأت عليها كلها، لأن:

1- النصوص متناهية والوقائع غير متناهية.

2- ولأن المجتهدين الذين هم المرجع في الفقه والفتوى متفاوتة مداركهم واستنباطاتهم.

---

- نفسه، ج1، ص 168.47

- نفسه، ج1، ص 164.48

3 - ولأن العمران بنجدده وتنوعه أحدث أنواعا جديدة من التعاملات الدنيوية نحتاج إلى

معالجتها بأنظار جديدة.

هذا ومثله من الأسباب الوجيية في ظهور هذه المذاهب وانتشارها. (49) وهذا لا عيب فيه، فالمذاهب في أصلها اجتهادية، مسائلها تتصل بحياة الناس المتغيرة والمستجدة. إنما الفتنة والشر في التعصب والعصبية، لهذا المذهب أو ذاك، أو لهذا الرأي أو ذاك، أو لهذا الإمام أو ذاك. ولو

بُعث أولئك الأئمة المجتهدون من جديد لأنكروا ما يحدث من أتباعهم، وتبرأوا إلى الله منهم. (50)

ومن آثار هذه العصبية وفتنها :

1 - أنها كانت ولا تزال تشكل أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين

2 - أنها لم تضيف جديدا لهذه العلوم إلا سخافة في الجدل، ومكابرة لا فائدة منها.

3 - أنها لا تستند على الاستقلال في الاستدلال.

لذلك يقترح امام ابراهيمي صرف الناشئة عنها إلى تعليم فقهي يقوم على :

- الاستقلال في الاستدلال.

- استغلال مواهب هؤلاء الناشئة، وتوجيهها توجيهها بعيدا عن أي تضيق أو تحجير. (51).

ج - اللغة العربية:

- نفسه، ج 1، ص 165. 49

- نفسه، ج 1، ص 165. 50

- نفسه، ج 1، ص 166. 51

لم يخل مقال ولا مجال تتاح الفرصة فيه للإمام إلا وتطرق للغة العربية، وما سُلِّطَ عليها وعلى أصحابها من ظلم وجور وغبن.

يرى الإمام أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أسست لغايتين:

- إحياء مجد الدين الإسلامي.

- إحياء مجد اللغة العربية. (52)

وليس هذا رد فعل مؤقت من الجمعية، ومن ورائها الأمة، إنما هو فعل راشد متزن مستديم؛ وذلك أنه منذ وطئ الاستعمار هذه الأرض وهو يضع نصب عينيه هذين الركنيين الأساسيين للشخصية الجزائرية العربية المسلمة.

بالنسبة للغة العربية فقد حاربها بشتى فنون الحرب، وتعبقر في شتى ألوان التعطيل والحجر والتجميد على هذه اللغة وأهلها. من ذلك - وهو غيظ من فيض - :

- اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر، في عقر دارها وبين أهلها، ومن حجر على تعلمها وتعليمها.

- المبالغة والإسراف في التتكيل بأهل هذه اللغة من قبل الإداريين، خاصة الصغار منهم.

- متابعة المعلمين قضائياً وأخذهم إلى المحاكم من قِبَل السلطات. وما حادثة بني منصور بمنطقة البويرة بغريبة ولا بخافية. (53)

- إضافة إلى فرض العقوبات المالية والبدنية؛ عقوبة التغريم والسجن والغريب والنفي....

(54)

---

- نفسه، ج1، ص 133.52

- نفسه، ج2، ص 181.53

ومن هنا جاء إصرار الإمام على معاكسة الاستعمار وكسر قوانينه وإجراءاته بالمضي في التعليم العربي، على الرغم من المعوقات والصعوبات التي سبق ذكر بعضها. يقول الإمام: "وليقع الاستعمار أو ليطر، فإننا نتعلم لغتنا وديننا ولو في سم الخياط أو على مثل حد الصراط".<sup>(55)</sup>

لا يقف إصرار الإمام على تعلم اللغة ونشرها، إنما يطالب بإصلاح التعليم العربي في الجزائر، وطالت مطالبته المدارس العربية التي كانت تشرف عليها السلطات الاستدمارية، وتخص ما كان يسمى : مدارس القضاء، فقد طالب بإصلاح نظام القضاء، خاصة القضاء المتصل بالجزائريين.

1- يقترح توسيع برنامج التعليم القضائي فيما يتعلق ب "مادة اللغة العربية والفقهاء والأصول، ودراسة التفسير والحديث، ومآخذ الأحكام منها، وتاريخ القضاء في الإسلام وتاريخ التشريع، وفلسفة التشريع، وعلم النفس".<sup>(56)</sup>

2 - يقترح تمكين العلماء المسلمين من الوظائف القضائية "بإدخال عناصر من المتخرجين من جامع الزيتونة، أو غيره من المعاهد الأخرى".<sup>(57)</sup>

3 - يقترح إنشاء مجلس أعلى، قضائه مسلمون، وظيفته "اختيار القضاة ومراقبتهم والنظر في سلوكهم وتحديد عقوباتهم".<sup>(58)</sup> ويكون المجلس مستقلا عن القضاء الفرنسي.

4 - يقترح إنشاء محاكم استئناف إسلامية، سلطتها إسلامية. وهذه النقطة - في تصوره - من أهم نقاط الإصلاح.<sup>(59)</sup>

---

54. نفسه، ج2، ص 143.

55. نفسه، ج3، ص 227.

56. نفسه، ج2، ص 142.

57. نفسه، ج2، ص 143.

58. نفسه، ج2، ص 145.

وسيلة متعددة ومتجددة، وتعني في تصور الإمام: "حسن التربية، وصحة الإدراك، والتقدير

للأشياء، وسلامة التفكير والاستنتاج العقلي، واستقامة السلوك في معاملة الناس".

هذا التعريف للثقافة بوظيفتها وغاياتها لا بتعريف ماهيتها. ولعل الإمام قصد ذلك، لأن ما يحتاجه من يطلب الثقافة ووظيفتها وأهدافها لا ماهيتها. ويؤيد هذا ما ذهب إليه من اعتبار الأخلاق الفاضلة مقدّمة على كثرة المعلومات . (60)

وتفعيل الثقافة الذي قصده الإمام يتطلب النظر في الثقافة عندنا؛ من وجودها والدور الذي

تؤديه مجتمعيًا. ولعل النظر في الواقع الثقافي هو الذي ألهمه فكرة الإصلاح الثقافي.

يتطلب الإصلاح الثقافي - في تصوره - إصلاح المثقفين. ويتصور إصلاح المثقف في إصلاح ذاته أولاً، لأنه سيكون قدوة لغيره، فأصلاح النفس ضروري لإصلاح الغير، "فلا يصلح غيره من لا يصلح نفسه". (61)

ومن شروط صلاح النفس، في تصوره، أن يكمل المثقف ما ينقصه، ويستكمل ما يؤهله من مؤهلات الثقافة، وذلك ب:

\*التقارب في الأفكار مع غيره.

\*حذف الفضول واللغو من نفسه ومن سلوكه.

- نفسه، ج2، ص 145. 59

- نفسه، ج2، ص 126. 60

- نفسه، ج1، ص 128. 61

\*أن يكون لديه المقياس الصحيح الذي تقاس به الثقافة من التفاهة، ويشترك غيره معه فيه.

\*التقارب من المثقفين بالثقافتين العربية والأجنبية، لسد الباب في أوجه المتطفلين على الثقافة.

(62)

ومن واجبات المثقف أن تكون له علاقة الامتزاج والاختلاط بالأمة، بأطرافها وفئاتها، وأن يشاركها في كل ما يتعلق بها، ويمكنه مشاركتها فيه. يقول الإمام: "الامتزاج بالأمة والاختلاط بها والتحبب إليها، ومشاركتها في شؤونها الاجتماعية، والدخول في مجتمعاتها ومعابدها، ومشاركتها في عبادتها والصالح من عوائدها"، (63) أمر ضروري لا بد أن يملكه.

رابعاً: الغايات والأهداف في فلسفة الإصلاح:

تهدف فلسفة الإصلاح في تصور الجمعية من خلال تصور إمامها إبراهيمي إلى تحقيق غايات نبيلة سامية، منها:

1 - تصحيح المفاهيم لدى الناشئة ولدى المجتمع، خاصة المفاهيم المتعلقة بالعقيدة،

بإزالة

المفاهيم الفاسدة وترسيخ المفاهيم الصحيحة بدلها في الأذهان وفي السلوك الواقعي، وذلك بتصحيح عقيدة المجتمع الجزائري المسلم "وتطهيرها من شوائب الشرك القولي والعملي الذي شابها". (64)

62. نفسه، ج2، ص 128.

63. نفسه، ج1، ص 129.

64. نفسه، ج1، ص 184.

2- إحياء مجد الدين الإسلامي عمليا بتصحيح أربعة عناصر أساسية وتفعيلها في المجتمع، وهي:

- إحياء العقيدة الصحيحة.

- فهم وتطبيق العبادة الصحيحة.

- إقامة المعاملة على الصدق.

- الالتزام بالخلق القويم.

3 - توجيه الأمة إلى القرآن وجمعها عليه، وبعث روح التدبر في معانيه في نفوسها" بعد أن كانت مشغولة عنه بما لا يفيد، معتقدة فيه العقائد السخيفة، مستغنية عن فهمه بحفظه، مع تقصيرها في أداء لفظه... " (65)

4 - إحياء السنة الصحيحة وتبيينها، ودفع الدارسين لدراستها لمعرفة الصحيح من غير الصحيح منها، ومعرفة ما يتعلق بعلومها ورجالها.

5 - الاهتمام بالعلوم غير الشرعية، أو ما يصطلح عليه بالعلوم العصرية؛ ذلك أن "الجمعية تقيم الوزن لهذه العلوم التي أصبحت وسائل الحياة أو هي الحياة نفسها...": (66)

6 - توحيد المؤسسات والمناهج بالنسبة لمدارس الجمعية خاصة؛ ذلك أن المدرسين درسوا في أكثر من معهد، وكل من درس في معهد متأثر بالمعهد الذي درس فيه، وبمناهجه وبطرائقه. وقد أثرت نتائج هذا الاختلاف في المتمدرسين سلبا. ولتحقيق هذا جعلت الجمعية من مقاصدها الإشراف على التعليم العربي ومدارسه ومعلميه.

- نفسه، ج1، ص 284. 65

- نفسه، ج1، ص 135. 66

7 - تثبيت اللغة العربية كعنصر من عناصر الهوية، وفي نفس الوقت محاربة اللغة الفرنسية كلغة استعمار؛ لأن اللغة العربية "قطعة من كياننا التاريخي، وشرط أساسي لوجودنا القومي، وشهادة قاطعة بصحة نسبنا الديني والجنسي". (67)

8 - من مقاصد الجمعية الإشراف على المساجد وعلى موظفيها وتوجيههم وتكوينهم.

9 - من مقاصد الجمعية أيضا في القضاء الإسلامي المشاركة في إعداد مناهجه، والمساهمة في التعليم وبالرجال في سلكه.

10 - مقاومة الإلحاد والتتصير، وما يبثه أهل الإلحاد من شبهات يشوبون بها الدين، بالتصدي لهم من قبل العلماء، وفضح أنصارهم -، وبالقدوة الصالحة في الدين والخير والفضيلة.

والتصدي لمنع التتصر والتبشير هدف نبيل لا يقل عن الجهاد، وهو وجه من وجوه الدعوة والتتوير بنور الإسلام.

11 - ومن وسائل التربية الصالحة التي اعتمدها الجمعية كهدف نشر سير العظماء من الرجال،

خاصة في الإسلام، ليكونوا قدوة للأجيال، تعينهم على اكتساب القوة والخلق والرجولة.

12 - "محاربة الآفات الاجتماعية كالخمر والميسر والبطالة والجهل، وكل ما يحرمه صريح الشرع وينكره العقل، وتحجره القوانين الجاري العمل بها".

13 - نشر الوعي في الأمة بتعليمها وإرشادها إلى المعاني الاجتماعية مثل حسن الإدراك للأشياء، وفهم معاني الحياة، وتقدير الوظيفة الإنسانية، وتعريف الإنسان بحقوقه عند

---

67 - نفسه، ج1، ص 286.

الأخرين ووجباته تجاه هؤلاء الآخرين، والإمام بزمانه وبأهل زمانه، وتعريفه بأن الرابطة التي تربطه بالآخرين هي رابطة الأخوة والمساواة والمصلحة، وليست رابطة السيادة والاستئثار.<sup>(68)</sup>

14 - الدعوة إلى الأخوة الإسلامية،<sup>(69)</sup> وتجسيدها عمليا بالوسائل التي تحقق ذلك.

وخاتمة القول:

تكللت جهود جمعية العلماء المسلمين نتيجة التصور الصحيح لفلسفة الإصلاح وتطبيقها بنجاحات وانتصارات متعددة، على الرغم من شح الآليات البتي تمكنها من النجاح، وتبرز هذه الانتصارات والنجاحات في نشر التعليم العربي في الجزائر بين أبنائها، وفي نشر ثقافة الوعي بين الجزائريين، وتثبيت الوطنية الصحيحة في نفوس الجزائريين، وفي الحيلولة دون تحقيق الاستعمار لأهدافه، على الرغم من الوسائل والآليات التي جربها، والسلطة النافذة التي كان يمتلكها. ولعل أعظم انتصار ونجاح حققته هو :

- سخذ الهمم للثورة ورفع راية الجهاد لتحرير البلاد والعباد من الاستعمار. وثلة المجاهدين الأبرار من تلاميذها شاهد على ذلك.

- المساهمة الفعالة لأبنائها في بناء الدولة الجزائرية المستقلة، خاصة في مجال التعليم العربي بعد الاستقلال، إذ كانت نواته مكونة من أبنائها، ممن أكملوا دراساتهم بالبلدان الشقيقة والصديقة، وممن بقوا بالجزائر.

- استمرار التعليم الذي انتهجته الجمعية ممثلا في المعاهد الإسلامية (معاهد التعليم الأصلي) التي أنشأها أبناء

- نفسه، ج3، ص 128. 68

- نفسه، ج1، ص 186. 69

الجمعية، واستمرت إلى سنة 1980م، وتخرج منها مئات المتخرجين حاملين شهادة البكالوريا للعلوم الإسلامية (العلوم الشرعية والعلوم اللغوية والعلوم العصرية) التي يصطلح على تسميتها الإمام محمد البشير الإبراهيمي بـ " العلوم الخادمة للدين".